



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 3.10.96.....
Photo No. : 104.....

الانتفاضة عندما توظف

مرة أخرى، إذاً، تأتي الدروس البليغة من فلسطين. والدرس هذه المرة مفاده ان لا نهاية في السياسة ولا في حياة الشعوب. تذكروا: قبل ثلاث سنوات، استقر اجماع قوميبي الساعة الاخيرة على نعي القضية الفلسطينية. وبعد ذلك، راح جمع الشامتين يرصد كل هفوة من هفوات الحكم الذاتي للاعلان عن تهافت المشروع، حتى انتهى، عند هزيمة شمعون بيريس، الى التنبؤ بسقوط مواز وسريع يطاول ياسر عرفات. لكن ما هو عرفات في البيت الابيض. وما هو الحكم الذاتي يستمر وما هي القضية الفلسطينية تستقر.

الواقع الفلسطيني، إذاً، يؤكد ان السياسة تبقى اعقد من الخطابات. ولعل ابرز دليل على هذا التعقيد ان لا تناقض قاتلا بين آليات اوسلو ودينامية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، هذا على الاقل عند "فلسطيني الداخل"، ان لم نسمع في اراضي الحكم الذاتي مثل هذه الاحكام النهائية التي كثرت في الاسبوع الاخير: "ارأيتم إلام تؤدي اوسلو؟" او "اوسلو كانت خطأ". فعند فلسطيني الداخل ولي زمان الكلام "اللاموتي" والاهم هو كيف تتلون آليات اوسلو من ديناميات الصراع لما فيه مصلحة الفلسطينيين. وعند فلسطيني الداخل، فان التوظيف السياسي، وقل السلطوي للنمط "الانتفاضي" ابلغ اثرا من لغة الانتفاضة المستمرة. وعند فلسطيني الداخل، فان تبييض صفحة بنيامين نتنياهو او عدم تبييضها تفصيل هامشي، بالمقارنة مع ما يمكن انتزاعه من نتيناهو نفسه.

تبييض صفحة نتيناهو؟ تلك هي، بلا شك، اسخف البدع التي سمعناها في الايام الاخيرة. وكان الذين يتفوهون بهذه السخافات عاجزون عن فهم ما حصل في السنوات الثلاث المنصرمة: أليست مصافحة الاسرائيليين، ومنهم نتيناهو، هي التي تسمح ان يظمر هؤلاء على حقيقتهم في نظر الحكومات الغربية؟

ليست هذه هي المرة الاولى التي نشهد فيها اذانة غربية لاسرائيل، او تعاطفاً مع الفلسطينيين، لكنها كانت دوما سريعة الذوبان، ولا شيء يؤكد اصلا ان التعاطف الحالي سيستمر. لكن الجديد ليس هنا، ليس في ظهور غطرسة الاسرائيليين، وانما في كشف لاعقلانيتهم. ففي نظر الغرب، حكاما ومعلقين، صار الاسرائيلي في الموقع الذي طالما احتله العربي: موقع التعنت الذي لا تفهم اسبابه.

قد لا تأتي قمة واشنطن بتحول حقيقي. وقد تفشل عندما يصل الامر الى تطبيق ما ستقره، سواء بالنسبة للخليل او للقدس او للاستيطان. لكنها لن تبيض بالتاكيد صفحة نتيناهو. بل لعلها ستزيده سوادا فيما سيبقى المصير الفلسطيني في تلاوين الرمادي، هذا الرمادي الذي صار سلاح السياسة وطريق الغد الابيض.

سمير قصير